

## ستالين

لم يقدر لزوج ستالين الثاني التوفيق، لأنه التقى بامرأة يهودية حسناء اسمها روزا كاغونوفيتش.. ويقال إنه كان يعاشرها عندما أقدمت زوجته الثانية ناديا علي الانتحار.. ومن المعتقد أن انتحار ناديا لا يعود إلي قصص ستالين الغرامية فقط، بل إلي الأسى الشديد الذي أصابها، بسبب قسوة زوجها في القضاء وعلي عدد كبير من خصومه، الذين كانت تري فيهم إخوة لها في الدين بينما يراهم هو منحرفين.

وكان شقيق روزا – ويدعي لازار كاغونوفيتش – صديقا مقربا لستالين، الذي جعله عضوا في المكتب السياسي "البوليتبيرو"، وبقي كذلك حتى وفاة ستالين.. وقد برهن لازار عن مقدرته في الإشراف علي الصناعات الثقيلة، عندما قام بتطوير حقول دونيتز بازين البترولية وإنشاء اوتوستراد موسكو.. وقد تزوج ابنه ميخائيل ابنة ستالين (سفيتلانا) في 15 تموز 1951.. وكانت سفيتلانا متزوجة من شخص آخر عندما تقرر هذا الزواج.. ولم يعلم أي شيء عن مصير الزوج الأول، سوي أنه قد انزاح عن الطريق فجأة، تماما كما فعل ستالين عندما تزوج روزا بعد أن أزاح زوجته الثانية، أو بعد أن أزاحت هي نفسها!!

وبالإضافة إلي زواج ستالين من يهودية، فإن نائبه مولوتوف هو أيضا قد تزوج من يهودية، وهي شقيقة سام كارب – الرأسمالي الأمريكي الكبير، صاحب شركة الاستيراد الضخمة "كارب اكسبورتغ" – ثم خطبت ابنه مولوتوف إلي ابن ستالين فاسيلي في عام 1951.. وهكذا نري أن المكتب السياسي "البوليتبيرو" كان إلي حد ما بيد أسرة ستالين والمقربين إليها. وقد توصل ستالين إلي أن يصبح في الطبقة العليا للحزب الثوري الروسي، لأن معظم القادة المرموقين في المراحل الأولى من الثورة الشيوعية كانوا داخل السجنون.. ولم يترق ستالين إلي أي مركز خلال ديكتاتورية لينين، إلا إنه في الفترة الأخيرة من حكم لينين، بدأ يتقدم الصفوف الأولى.. وعندها بدأ الصراع بينه وبين تروتسكي وغيره من بعض اليهود الخصوم.. وانتهي هذا الصراع باستلامه الحكم، الذي لم يتخل عنه حتى وفاته.

في عام 1927 حاول تروتسكي القيام بانتفاضة ضد ستالين، متهما إياه بالانحراف عن الإيديولوجية الماركسية والنزوع إلي إقامة ديكتاتورية استعمارية توتاليتارية كبديل للإتحاد الأصيل للجمهوريات السوفياتية الاشتراكية.. وهنا قام ستالين بحملة تطهير، قضى فيها علي عدة ملايين، كما أرسل عددا مماثلا إلي المنفي والأشغال الإجبارية.. وهكذا كانت نهاية العديد من قادة الحركة الثورية منذ الأممية الأولى، أن يلاحقوا حتى الموت أو السجن.. ومن بين القادة الذين تخلص منهم ستالين: تروتسكي، زينوفيف، كامينيف، ومارتينوف وراسوليش،

ودوش وبارفوس، واكسلرود، وراديك وبورتزكي وسفيردلوف، ودان، وليبير، ومارتوف.. ولم يبق من المقربين اليه عند وفاته، إلا لازار كاغانوفيتش صهره، وروزا زوجته الثالثة.

\*\*\*

سار ستالين علي سياسة لينين في إنشاء عالم الشيوعية بين خطي عرض 35 و 45 من النصف الشمالي للكرة الأرضية.

كانت خطة ستالين تقضي بألا يورط قواته المسلحة في حرب مع الدول الأخرى، وأن يسير علي سياسة إشعال الثورات جنوبي الاتحاد السوفياتي بين خطي عرض 35 و 45.. وقد أعطت هذه السياسة ثمارها بسرعة، لأنه عند وفاة ستالين كانت الشيوعية قد سيطرت علي نصف المنطقة المذكورة، كما أن نصف سكان الأرض كانوا قد وقعوا تحت التأثير الشيوعي. ((تذكر القمع والاضهاد والتهجير الذي أصاب المسلمين في الجمهوريات الإسلامية التي احتلتها روسيا، للقضاء علي دينهم ولغاتهم وتراثهم.. هذا بخلاف الثورات الاشتراكية التي دمرت مجتمعاتنا في نصف القرن الماضي، وما زلنا ندفع ثمن كوارثها حتى اليوم!!)) هذا وقد حافظ ستالين علي خطة لينين بالبداة بأسبانيا في عملية التحويل إلي الشيوعية، لأنه هذا سيجعل من السهل تعريض فرنسا وبريطانيا للسيطرة الشيوعية، وتصبح بعد ذلك ألمانيا بين فكي الكماشة.. وإذا حدث ما يمنع وقوع أسبانيا تحت السيطرة الشيوعية، فإن حادثا كهذا سيكون من الأسباب المساعدة علي نشوب حرب عالمية ثانية.

وعندما كان ستالين يعد للثورة الأسبانية، شارك مشاركة فعالة في الحرب الاقتصادية، التي كانت تدور رحاها بعد توقيع الهدنة عام 1918. فقد ظهرت طبقات ذات غني فاحش بعد الحرب العالمية لعدم مشاركتها في الحرب، كما أن شعوب الدول الحليفة عاشت برخاء زائد في السنتين اللتين تلتا الحرب.. ولكن قبل أن يتمكن المستثمرون من استثمار أموالهم بعد أوصلوا إلي القمة، سحبت أموال طائلة من الأسواق، وحددت الاعتمادات في البنوك، وبدأت عملية المطالبة بالديون تشتد.. وكانت هذه المأساة الصغرى التي كان يعيشها العالم بين 1923 و 1925، والتي كانت مقدمة للمأساة الكبرى التي خطت لها القوى لتكون عام 1930. هذا وقد حدثت المأساة الكبرى هذه، بعد أن تغيرت السياسة المالية عام 1925، وعاد الرخاء يتقدم بخطي واسعة حتى الغني الفاحش في كل من أميركا وبريطانيا وكندا وأستراليا.. وعاد الاستثمار عن طريق الأسهم والشركات أقوى مما كان عليه قبل 1925.. عندئذ وقبل انتهاء عام 1929، وقعت الضربة المفاجئة.. ونزلت أعظم مأساة اقتصادية عرفها العالم الحرّ في تاريخه كله.. وكان من نتيجتها أن الملايين من الناس أصبحوا بحاجة إلي لقمة العيش.. وانتحر الآلاف.. وقد وقع اللوم يومذاك علي سوء الإدارة والحكم، الذي جعل من عشرات

الملايين من البشر مدقعين في الفقر، ورفع 300 فقط من أصحاب الملايين ليصبحوا من أصحاب "التريليونات".

أما ستالين فقد بدأ خطته الصناعية الخماسية عام 1925، وذلك للعمل علي ما أسماه تحسين الأوضاع الداخلية للدول الشيوعية.. وشملت الخطة استغلال لموارد الطبيعية وتصنيعها وتحسين الوسائل الزراعية وتحديث الصناعة.. وقد مؤل هذه الخطة الخماسية المرابون الدوليون، وذلك عن طريق قروض ساهمت مساهمة قوية في تحسين الاقتصاد الروسي وبناء القوة العسكرية الروسية والألمانية معا.

ثم جاءت خطوة ستالين التالية، وهي إنشاء المزارع الجماعية.. وكان الشعب الروسي قد عاش لقرون عديدة أقل من العبيد في الأرض التي كان يستغلها الإقطاعيون، ثم وعدهم لينين بأن يعيشوا عيشة أفضل، حيث انفصل أكثر من مليونين من عائلات الفلاحين عن إقطاعهم، ووزعت الأراضي، وأصبحوا جميعا ملاكا مستقلين.. وفي أول كانون الثاني 1916 ارتفع عدد هذه العائلات إلي 6.200.000 عائلة.

ولكن الحظ السيء كان يلاحق هؤلاء، لأن الممولين الدوليين كانوا يريدون الحصول علي القروض التي دفعوها للخطة الزراعية ولتموين الجيش الألماني، فأصروا علي التحكم بصادرات وواردات الدول الشيوعية، كما طلبوا بتنفيذ المزارع الجماعية علي أنها الوسيلة الوحيدة لزيادة الإنتاج الزراعي.

وقد سجل التاريخ ما حدث عندما نفذ ستالين بالقوة مشروع المزارع الجماعية، فأكثر من خمسة ملايين من الفلاحين واجهوا الإعدام أو ماتوا من الجوع، لأنهم رفضوا تنفيذ المشروع أو حاولوا الوقوف في وجهه.. كما أن أكثر من خمسة ملايين غيرهم تم نقلهم إلي سيبيريا لكي يقوموا بالأعمال الإجبارية.. بل أكثر من هذا، هو أن القمح الذي صادره ستالين من الفلاحين تم بيعه للمرابين الدوليين، ليضاف إلي كميات القمح الأخرى التي اشتراها هؤلاء من بلدان أخرى.. وكان الغرض من هذه العملية هو تعويم الأسواق العالمية بهذه المادة الأساسية وبشكل رخيص، وذلك للمضاربة علي القمح الأمريكي والكندي، كي يكسب ولا يجد الأسواق التي تشتريه.. كما أن المرابين قاموا بضربة أخرى للحم والمواشي الكندية والأميركية، وذلك عن طريق شراء كميات ضخمة من اللحوم المبردة والمعلبة من الأرجنتين وغيرها من البلدان المنتجة للحوم.

وبين عامي 1920 و 1929 خفض الممولون الدوليون أسعار الشحن في سفن جميع الدول تقريبا، ما عدا بريطانيا وأميركا وكندا.. فكان من نتيجة هذه القرصنة التجارية، أن استحال علي السفن من هذه البلدان الثلاثة أن تنافس أسعار الشحن في السفن الأخرى، فرابطت آلاف السفن التجارية في موانئها، وتوقفت عملية التصدير بشكل لم يعرف من قبل.

في نفس الوقت الذي كان ميزان الصادرات في الدول الحليفة يهبط بشكل عجيب، كان هناك ارتفاع مقابل في عملية الاستيراد من كل من ألمانيا واليابان ودول أوروبا الوسطى.. وهكذا ساءت الحالة في البلدان الحليفة.. ففي كندا مثلا يعتمد خمسة من كل ثمانية من أصحاب الدخل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة علي عملية التصدير.. وإذا انخفض ميزان التصدير، تبعه مباشرة انخفاض وانتكاس تجاري.. ذلك أن القدرة الشرائية لخمس من كل ثمانية من أصحاب الدخل تنخفض.. يؤثر هذا أيضا علي كل من يعتمد علي الخدمات بأنواعها كوسيلة لكسب عيشه.. وإذا بقي هذا الانخفاض في ميزان المدفوعات علي حاله أو توقفت الصادرات، فإن الانتكاس التجاري يتحول إلي أزمة ويتدهور إلي مأساة.

وحتى يتأكد أصحاب المؤامرة العالمية من انزلاق الهيكل الاقتصادي للدول الحليفة إلي الهاوية، راحوا يعومون الأسواق العالمية بالقمح واللحم بأسعار منخفضة جدا وأقل من كلفة الإنتاج في كل من كندا وأميركا وأستراليا.. فكان من نتيجة هذا التعويم أن فاضت مستودعات القمح في الدول الحليفة ولم تتمكن من بيعه، بينما كانت شعوب بعض الدول تموت جوعا لحاجتها الماسة للخبز واللحم.. وكانت بريطانيا تعوض الفرق السنوي الشاسع بين ميزان الصادرات والواردات بخدماتها فيما وراء البحار، حيث تكسب ما يعادل 85 مليون جنيه إسترليني.. ولكنها أصيبت بضربة قاسية جدا عندما منعتها المنافسة غير العادلة من الحصول علي هذا المبلغ.. هذا وقد استغل المرابون العالميون هذه الأزمة الاقتصادية المصطنعة لخلق جو من التنافر والخلاف بين مختلف دول الكومنولث، وذلك بهدف إضعاف الإمبراطورية البريطانية وتفكيكها.

ماذا كانت هذه الحرب الاقتصادية؟.. ركود شديد في تجارة وصناعة وزراعة الدول الحليفة والدول الرأسمالية، وفي نفس الوقت ازدياد شديد وتوسع هائل في نشاط الدول الشيوعية ودول حلف المحور..

وهكذا أخذوا يهيئون الوضع الدولي لقيام حرب عالمية ثانية في الوقت الذي يريدونه.

## الثورة الأسبانية

في القرن الثالث عشر الميلادي شكّل البابا أنيوسينس الثالث محاكم التفتيش، لاعتقال الزنادقة الذين يتظاهرون بالندين والتحقيق معهم ((الصحيح: للتكيل بالمسلمين واليهود بمنتهى الوحشية والخسة!!).. وكانت أسبانيا قبل ذلك قد أكرمت اليهود وعاملتهم معاملة ودية جدا ((هذا عندما كان يحكمها المسلمون)). ومن هنا نجد أن جميع جرائم المرابين الملحدين وعملائهم في أسبانيا وفي غيرها من الدول تلتصق باليهود.. واستمر عمل محاكم التفتيش أيام إيزيلا وفردينايد، أي بين عامي 1475 و 1504.

ولما جاء حكم توركومادا، وجدت محاكم التفتيش أن خلايا المرتدين والمخربين تنتشر انتشارا واسعا في البلاد وتتبع تنظيمها دقيقا.. عندئذٍ حذت أسبانيا حذو غيرها من الدول الأوروبية وطردت اليهود من أراضيها، مما شجّع المتطرفين علي تنظيم أعمال عنف جماهيرية ضد اليهود، فوقع عدد من المذابح المؤلمة، أدانتها سلطات الكنيسة في روما وهاجمتها بشكل علني. وفي القرن السابع عشر، بعد إعادة تنظيم رجال المصارف العالميين، عاد عملاؤهم وتسربوا إلي إدارة الخزينة الأسبانية، وكان لهؤلاء نشاط واسع إبان الثورتين الفرنسية والإنكليزية.. وبذلك حاولوا جهدهم إضعاف الاقتصاد الإسباني وتهيئة البلاد للحركات الثورية.

وقد يكون من المهم جدا أن نتعرف علي خيوط المؤامرة السياسية التي حكمت بين عام 1839 وعام 1939، لنكوّن صورة واضحة عن أسلوب العمل الثوري، وهو يتألف من ثلاث مراحل لا بد منها:

1- تغلغل أفراد الحزب الثوري في المناصب الحكومية، وفي مراكز الخدمات العامة والقوات المسلحة والتنظيمات العمالية، بغية الاستعداد لتحطيم الحكومة من الداخل عندما يسمح الوقت بذلك وتصدر الأوامر.

2- ربط الحزب الثوري بالحزب الاشتراكي أو الحزب اليساري، بغية الإطاحة بالحكومة، سواء أكانت ملكية أو جمهورية.

3- القيام بنشاطات تخريبية بغية اختلاق الفوضى، لزعة الرأي العام في حكومة الجبهة الشعبية المؤتلفة كما يسمونها عادة، فيكون الفشل حليفها، مما يمهد الطريق لقيام ديكتاتورية البروليتاريا، التي ما إن تظهر للوجود حتى تبدأ عمليات التطهير، وتظهر بعدها الديكتاتورية التوتاليتارية.. وهذا ما حدث بالفعل في روسيا عام 1917. وسنري الآن كيف نفذت هذه المراحل الثلاث في أسبانيا، البلد الذي كان هدف لينين، ثم ستالين من بعده.

\*\*\*

جري أول إضراب عامّ نظمه عملاء كارل ماركس في أسبانيا عام 1865.. وفي عام 1868 أرسل زعماء الحركة الثورية العالمية السنيور فانيلي إلي أسبانيا، ليقوم بتوحيد نشاطات الفوضويين مع الثوريين الماركسيين.. وكان السنيور فانيلي صديقا حميما لباخونين، الذي كان بدوره علي علاقة وثيقة بماركس وانجلز.. ولكن باخونين لم يبق علي صلوات وثيقة مع ماركس، لأنه عارض سياسته عام 1870، فطرد من الأهمية الأولي (المؤتمر الأول) لقادة الحركة الثورية العالمية.

تابع كل من باخونين وفانيلي نشاطهما كل علي حدة، فتمكن باخونين من التأثير علي القادة الثوريين الأسبان وإنشاء التحالف الاشتراكي الديمقراطي عام 1872.. وقد أصدرت الحكومة قرارا بمنع هذا التنظيم، ولكنه بقي يعمل سرا.

وفي نفس الوقت كان "محلل الشرق الأكبر" قد أنشأ تنظيمات قوية في داخل أسبانيا. وفي المؤتمر العام الذي عقد في زارغوزا، وافق الجناح الأسباني للماركسية الدولية، علي التحالف مع حركة الرفض الفوضوية.. وبعد هذا التحالف ركز الفريقان جهدهما علي توحيد جميع الفئات العمالية، وإنشاء تحالف واسع سمي بالكامورا.. وفي عام 1873، توّج هذا التحالف الواسع نشاطه بقيام الثورة وإنشاء الجمهورية الأسبانية الأولى.

وكالمعتاد، رافق هذا النشاط الثوري قيام عهد من الإرهاب وانتشار الفوضى بشكل مريع.. وقد حملت هذه الأعمال الفوضوية الجنرال بافيا علي القيام بحركته الانقلابية.. وعندها عاد العمل الثوري إلي السرية مرة أخرى، ولكنها لم تدم طويلا، إذ سرعان ما ساند أعضاء الحركة الثورية قادة الحركة التحررية المعتدلة، وعادوا مرة أخرى إلي الظهور علي مسرح السياسة.. عندها قاموا بتغذية النزاع القائم بين الموالين لأحفاد الملك دون كارولز، وبين الموالين لأحفاد ايزبيلا.. وقد انتهى هذا النزاع بانهزام الموالين لأحفاد كارولز عام 1876. في هذا الوقت كانت الحركات العمالية في أوجها، وأغلبها يعمل بهدف نبيل غايته تحقيق العدالة للعمال.. وكان معظم العمال يرفضون السياسة المتطرفة لحركة الرفض اليسارية، ولذلك نظموا أنفسهم في "اتحاد العمال".. ولكنّ القادة المعتدلين لهذا الاتحاد سرعان ما وجدوا أنفسهم خارجه، بعد أن تسرّب الثوريون المتطرفون إلي داخل الاتحاد، وبدأت عمليات التصفية من الداخل.. وبقيت أعمال التصفية مستمرة حتى عام 1888، عندما أعلن بابلو اغليسياس إنشاء "الاتحاد العام للعمال"، ليضم أكبر عدد من المعتدلين.. وكان هذا الاتحاد العام يعرف في أسبانيا بـ U. G. T. وقد بقي دون دعم الحكومة حتى أعلنت الحكومة الاتحاد الأيبري، الذي كان يضم جميع المتطرفين والمنضمين إلي حركات الرفض الفوضوية.

ثم في سنة 1910 شكلت الاتحادات العمالية المتطرفة اتحادا نقابيا عاما، عرف في أسبانيا بـ C. N. T. وبقي هذا الاتحاد النقابي العام يعمل هو والعديد من النقابات الأخرى حتى عام 1913، عندما تمّ تعليق هذه النقابات بسبب الإضرابات المتكررة.. وكانت الحكومة توافق وتتعاون مع الحركات العمالية وتؤيد المطالب الجماعية، ولكن المتطرفين كانوا قد بدأوا يستغلون هذه النقابات لغاياتهم الخاصة وينفذون مآربهم.. فحلت الحكومة جميع النقابات، ووجد العمال أنفسهم من جديد بدون حماية.

وعاد الثوريون المتطرفون ليستغلوا هذا الوضع الجديد للعمال، ليوجهوا أعمالهم بشكل أعنف من السابق وأشدّ خطورة.. فبدأوا يزيدون نشاطاتهم ضد جميع الأحزاب السياسية وضد الدولة

نفسها.. وفي عام 1916 أعيد تنظيم الاتحاد النقابي المتطرف المعروف باسم G. R. T، وظهر علي المسرح اسم زعيمين هما: بيستاتا وسيغوي، اللذين تمكنا من توحيد العمل النقابي في مدينة برشلونة.

ومما ساعد علي إنجاز التنظيمات النقابية المتطرفة، هو الإجحاف الذي لحق بالعمال إبان الحرب العالمية الأولى وما بعدها.. فقد كانت أسبانيا قد كسبت أموالا طائلة أيام الحرب لأنها كانت دول حيادية، ولكن العمال بشكل عام لم يشاركوا في الازدهار الواسع الذي عم البلاد، فتدفعوا علي التنظيمات المتطرفة يسعون إلي تحقيق مكاسبهم ورفع الظلم عنهم.. وفي نفس الوقت ثابر بعض القادة المعتدلون علي نشاطهم، وتوصلوا إلي إنشاء الاتحاد النقابي الحر عام 1920.

وفي الفترة التي تلت ذلك العام واستمرت حتى عام 1923، اشتد النزاع بين الحركات النقابية اليسارية من جهة أخرى.. وعمت البلاد إضرابات محلية وعامة وأعمال عنف واغتيالات واسعة للقادة العماليين، بهدف إضعاف الفرقاء لأعدائهم.. وقد ارتكبت كل هذه الجرائم باسم "الحرية"، حتى وصلت الحالة إلي فوضى تامة.. عندئذ طلب الملك الأسباني من الجنرال بريمودي ريفيرا ضبط الأمن في البلاد، ومنحه مطلق الصلاحيات العسكرية ليمنع الشيوعيين من القيام بثورة أخرى.

كانت أول نتيجة للحكم الديكتاتوري الذي تزعمه دي ريفيرا أن أنهى الحرب مع المغرب نهاية ناجحة.. وكانت شخصية الجنرال فرانكو قد تبلورت من خلال هذه الحرب، وأخذت شعبيته تزداد وتنتشر.. وقد استطاع بعدله وحزمة أن يكسب ود الشعب المغربي وصدافته وإعجابه (!!!!!!!).. وبالرغم مما قيل عن دي ريفيرا، إلا إنه من المعدل أن نقول إنه تمكّن من إعادة النظام إلي البلاد، وقام بتحسين أحوال العمال بعد أن تعاون مع اباليرو، كما قام بإصلاحات اجتماعية عديدة.. ولكن هذا النشاط الواسع أضعف الجنرال دي ريفيرا وتدهورت صحته عام 1929.. وهذا علي الأرجح ما يفسر الأخطاء في تقدير الأشخاص التي ارتكبتها عام 1930.. فقد اختار في ذلك العام اثنين من زعماء الحركة الاشتراكية وهما بستيرو وسابوري. وكأنه قد شعر بثقل المسؤولية علي كاهله فأراد أن يرفعها عنه، فطلب منهما أن يعيدا تنظيم الجهاز الانتخابي للأمة، لكي يستطيع الشعب تقرير مصيره والاختيار بين الملكية أو الجمهورية.. ولم يُعرف السبب الكامن وراء اختيار هذين الرجلين وسيبقي هذا الحدث بدون تفسير.. وقد قام بيسترو وسابوريت بما يجب علي قائدين ثوريين أن يقوموا به، فطوقا الجهاز الانتخابي وأعداه ليكون انتخاب حكومة اشتراكية أمرا حتميا.. وانتشر التزوير في الانتخابات، ليقترح في مدريد وحدها 40.000 من المتوفين ومن الناخبين المزورين.

وكانت محافل الشرق الأكبر في أسبانيا قد نظمت اتحادا خاصا سمته "الاتحاد العسكري الأخوي"، ويهدف إلي الإطاحة بالنظام الملكي.. وقد استطاع أن يحصل علي وعد 21 من أصل 23 جنرالا أسبانيا، بأن يساعده علي إقامة الحكم الجمهوري.. وقد ذكر هذه المعلومات الجنرال مولا، قائد قوى الأمن الداخلي في أسبانيا، وذلك في كتابه: "Tempestad Calma Intriga Y Crisis"، حيث يخبرنا فيه أن المحافل وضعت تحت تصرف الجنرالات عند انتمائهم لها، مبلغ مليون ونصف بيزفيتا، وذلك لمساعدتهم علي الهرب في حال فشل الحركة الجمهورية.. وكان فرانكو أحد الجنرالين الذين لم ينضما إلي "الاتحاد العسكري الأخوي".. ويؤكد كلام الجنرال مولا، جنرال آخر كان من بين الذين انضموا إلي "الاتحاد العسكري الأخوي" وهو الجنرال كانوا لوبيز، حيث قال في حديث له في البرلمان الإسباني (الكورتس): "لقد جمعت الماسونية منذ عام 1925 غالبية كبار ضباط الجيش، وذلك تحت شعار الاتحاد العسكري الأخوي".

ومن بين الذين دخلوا كأعضاء في هذا الاتحاد، كابانيلاس وسانجورجو وغويد ومولا ولوبيز وأوشاو كويبو دي لانا وغيرهم.

ويضيف لوبيز قائلا: "وقد صدرت الأوامر مرتين لهؤلاء الجنرالات، مرة عام 1929 للإطاحة بالديكتاتورية التي تزعمها دي ريفيرا، ومرة للإطاحة بالملكية عام 1931.. وقد نفذ الجنرالات هذه الأوامر كما جاءت".

ويخبرنا الجنرال مولا كيف حنث هو وغالبية الجنرالات بوعدهم للمحافل، وذلك عندما شعروا أنهم قد استغلوا بكل بساطة لتنفيذ المخططات السرية، التي أعدها ستالين ليحول أسبانيا إلي ديكتاتورية شيوعية أخرى.

وقد نشرت المجلة الفرنسية في تقرير لها عام 1932، أن ستالين وعد بمبلغ مئتي ألف دولار، كإسهام منه في تمويل مراكز التدريب الثوري في أسبانيا.. كما تبين الكشوفات المقدمة للمؤتمر الشيوعي الدولي عام 1931، أن القادة الثوريين تسلموا مبلغ مئتين وأربعين ألف جنيه — بالعملة الإنكليزية — كما كان تحت تصرفهم مبلغ مليونين ونصف بيزيتا لشراء الأسلحة والذخائر.. ويقول الجنرال مولا إنه وصل أسبانيا عام 1938 قادما من روسيا، مئتا قائد ثوري كانوا قد تدربوا في مؤسسة لينين في موسكو.

\*\*\*

ومنذ عام 1930 وحتى تاريخ بدء العمليات الانتخابية، كانت قد بدأت حملة التشهير ضد ملك أسبانيا وعائلته الملكية.. ومن بين الأكاذيب السخيفة، الزعم أنه كان يسفك دم جندي أسباني كل يوم، وذلك لإبقاء أمير استوريا علي قيد الحياة، وهو المعروف بأنه يعاني من النزيف



الدموي.. واتهم الملك بالفجور – تماما كما اتهمت إمبراطورية روسيا زورا بأنها كانت عشيقة لراسبوتين.

وبعد أن انتهت عمليات التزوير وأفرغت من صناديق الاقتراع أصوات الريفيين المؤيدين للملكية.. وبعد أن أعلنت نتائج الانتخابات لصالح حكومة جمهورية، أصدر الملك ألفونسو الثالث عشر بيانه الأخير إلى الشعب، الذي قال فيه: "لقد برهنت الانتخابات التي جرت يوم الأحد أنني لم أعد أحظى بمحبة وتقدير شعبي.. ولكنني مازلت مقتنعا أن هذه الأحوال ستتغير، لأنني كنت دائما أجاهد في سبيل أسبانيا وأضحى مخلصا من أجلها.. قد يرتكب الملك بعض الأخطاء، وبدون شك لقد ارتكبت بعضها، لكنّ شعبي كان دائما صفوحا عن أخطاء الآخرين بدون أي حقد أو ضغينة.. لقد كان بإمكانني، وأنا الأسباني والملك علي جميع الأسبان، أن أستعمل جميع صلاحياتي للحفاظ علي حقوقي الملكية بوجه من يظهر أية مقاومة.. لكنني آثرت أن اتحى، خوفا من أن تنقسم البلاد فيقاتل الأسباني أخاه في حرب أهلية.. وأنا إذ أغادر البلاد، أصر علي أنني ما أزال مؤمنا بالحق الذي جاءني عبر التاريخ، والذي سأسال عنه يوميا من الأيام.. كما وأني إذ أتخلي عن جميع صلاحياتي الحالية في ممارسة الحكم – وفي قناعتني بأن هذا سيكون لصالح البلاد وليكون الشعب كله مسئولا عن نفسه – أضرع إلي الله أن يقوم كل أسباني بواجبه الذي يميله عليه حبه لأسبانيا، بنفس القدر الذي كنت أقوم به".

\*\*\*

حتى ذلك الحين، كان المتآمرون قد نفذوا الخطوة الأولى، وبدءوا يعدون للخطوة التالية.. ولم يكن جميع أفراد الحكومة الجديدة من عملاء المرابين، بل كان بينهم أعداد كبيرة من المخلصين، ولكنهم كانوا جميعا بدون سلطة وبدون صلاحيات.. أما السلطة الحقيقية فقد كانت بأيدي العملاء الشيوعيين والفوضيين، الذين بدءوا يعدون للمرحلة الثانية، وهي إنشاء ديكتاتورية البروليتاريا.. وابتغوا لتحقيق هذا الغرض طريقة اللعب علي الحبلين، فأوحت بعض الخلايا الشيوعية إلي الحكومة بارتكاب بعض الأخطاء، بينما راحت خلايا أخرى خارج الحكومة تشنّ هجوما علي الحكومة لارتكابها هذه الأخطاء، وتنتعها بالسذاجة والفساد.. وهنا بدأ عملاء موسكو بتنفيذ جميع أنواع الجرائم، لدفع الناس إلي القبول – بل حتى المطالبة – بديكتاتورية البروليتاريا للحفاظ علي البلاد وعلي أمنها الداخلي.

وكان الجنرال دي ريفيرا قد استخدم لارغو كابا ليرو ومجموعته، في تخفيف حدة النزاع القائم بين العمال وأرباب العمل.. ولكن ما إن ظهرت الحكومة العمالية إلي الوجود، حتى كشف كابا ليرو عن حقيقته، وأعلن بصراحة عام 1935 أنه تمكن من إنشاء "عشرات الآلاف من الخلايا الشيوعية في جميع أنحاء أسبانيا".. وهذا يفسر الاستقبال والتصفيق الحار الذي قوبل به الوفد الأسباني في المؤتمر العام الحادي عشر للجنة التنفيذية للأمم الشيوعية،

وامتداح الوفد لأن "الإعدادات للثورة تجري بشكل سريع ومناسب تماما للخطة الثورية في أسبانيا" .. وفي المؤتمر الثاني عشر للأمية الشيوعية وجهت كلمات الثناء التالية للوفد الأسباني: "لقد لا حظنا في أسبانيا بالذات، قيام أعمال ثورية وإضرابات متكررة علي مدي شهور عديدة، بشكل لم يشهده هذا البلد من قبل.. وليس هذا الصراع العمالي إلا الخطوة الأساسية لقيام الثورة الأسبانية".

\*\*\*

ما حدث بعد ذلك في أسبانيا يكشف الكثير من وجوه المؤامرة، وخصوصا ما حدث ضمن التنظيم الشيوعي نفسه.. وكما يقول المثل القديم "عندما يختلف اللصوص تظهر الحقيقة"، فإن هذا ما حدث بالفعل في أسبانيا.. فقد كان الزعماء الثلاثة للحركة الشيوعية مورين وسيرجس ونين، قد أتموا دراستهم الثورية في مؤسسة لينين في موسكو، وعادوا لقيادة الحركة الثورية. وبعد سنوات من الحياة الصاخبة والمليئة بالنشاط الثوري، جلس مورين ليكتب عام 1926 كتابه *Hacia la Segunda Revolution*، الذي أظهر فيه معارضته لستالين لأنه قد انحرف عن العفائية الماركسية.. واتهم مورين ستالين بأنه يستخدم القوي الشيوعية لتحقيق مآربه الخاصة في الحكم الديكتاتوري الاستعماري.

وهكذا بدأ الصراع بين ستالين وبين الشباب الثلاثة مورين وسيرجس ونين.. وأثبت هؤلاء عن مهارتهم في تجميع العمال والسيطرة عليهم، فقرر ستالين التخلص منهم يعد أن قاموا بما عليهم حتى بداية الحرب الأهلية.. وكان أمر ستالين بتصفيتهم قد حدد بأن "يظهر موتهم للشعب وكأنه استشهدا بطولي في سبيل الشيوعية"، فأرشد الشيوعيون فرانكو علي مكان مورين، فأعدم بعد أن حوكم.. أما سيرجس فنقول التقارير إنه مات بأيدي الشيوعيين أنفسهم.. وقتل نين في ظروف غامضة.. وبعدها أعلن للملا أن موت هؤلاء لم يتم إلا علي يد أعداء الشيوعية.

ولكن هذا الصراع لم يمرّ هكذا بدون نتائج أو فضائح.. فلقد أخذ الشيوعيون يفضحون بعضهم البعض ويبينون الحقيقة الخفية لوجودهم.. ومن بين هذه الفضائح ما كتبه سيرجس، حيث يقول: "لقد تم تطور الشيوعية عام 1936 من الثورة الأممية إلي القومية، بشكل قوة عسكرية ضخمة يقوم علي خدمتها أحزاب عديدة في دول مختلفة، وتقوم هذه الدولة القوية بتمويل هذه الأحزاب.. فبعد عام 1936 شكل الستالينيون الحزب الإسباني الاشتراكي الموحد، الذي رعاه المؤتمر الثالث للأمية الشيوعية.. وكان الهدف من ذلك إنشاء قوة جديدة ذات طبيعة فاشية، تتمكن من تطويق فرنسا، الحليف المحتمل لروسيا في الحرب التي يجري إعدادها".

ويقول مورين أيضا "جرت السياسة الإنكليزية منذ القديم علي تدمير أعدائها، حتى تفرض نفسها لحمايتهم، وحتى تجعل نهوضهم من جديدا أمرا مستحيلا.. ونحن نعرف أن أسبانيا هي

ضحية إنكلترا في المقام الأول، وضحية فرنسا في المقام الثاني.. وإذا مالت أسبانيا نحو إنكلترا زادت فرنسا في اضطهادها.. وما دامت فرنسا وإنكلترا كلتاهما من الدول الرأسمالية، فلن يكونا الحليف الطبيعي لأسبانيا.. لذلك كان الخط المنطقي لأسبانيا هو أن تتحاز إلي البرتغال وألمانيا وإيطاليا وروسيا، لأن مثل هذا التكتل سيجعل من فرنسا وإنكلترا بلدين محايدين بالنسبة لها".

ويشرح لنا سيرجس، كيف أن التجمع اليساري في أسبانيا تمكن من نشر دعايته بشكل واسع في الصحافة العالمية، في حين أن فرانكو لم يكن ليحظى إلا بالندر السير من اهتمام الصحف.. وقد كتب سيرجس يقول: "لم يعرف التاريخ من قبل، طرقا وأساليب دينئة ومنحطة، كالتى استعملها ستالين من وراء المؤتمر الأممي الثالث للشيوعية.. فقد وجه ستالين وأعوانه الدعاية الكاذبة، بشكل متواصل وبدون أي مراعاة للحقيقة والصدق.. واستعملوا أسلوب التكرار والسخرية حتى أصبح هذا الأسلوب ميكانيكا بالنسبة لهم.. ولم يستعمل هذا الأسلوب علي النطاق المحلي، بل تمكنت البيروقراطية السوفياتية من توسيعه إلي نطاق دولي.. فما إن تطلق "الازفستيا" أكذوبة في فلنتيا، حتى تتناقلها مباشرة الصحف في باريس وستوكهولم ووارسلو وبروكسل ولندن ونيويورك ومالبورن وبيونس آيريس.. وهكذا يتم توزيع الملايين من النسخ التي تحمل الأكاذيب المضللة.. ولا يبقى أمام المتقنين ثقافة واسعة، الذين يعادون الفاشية، إلا تصديق الصحافة لأنها الوسيلة الأولى لاستقاء المعلومات.. ومن هنا يشعر المرء بأن العالم اليوم يعاني من عملية ضخمة للتضليل الأخلاقي.. وهذا ما يجعلني أقر – وأنا أشعر بالأسى – بصدق كلمات تروتسكي، عندما اعتبر دعاية الكومنترن الستاليني "زهري" الحركة العمالية".

وهكذا يصبح الكلام الذي جاء علي لسان سيرجس ومورين بعد أن انشقا عن موسكو، مطابقا تماما لما جاء في المنشور البابوي الذي أمر بتوزيعه البابا بيوس الحادي عشر في آذار عام 1937، وجاء في أحد أقسامه: "وهناك تفسير آخر لهذا الانتشار الواسع للأفكار الشيوعية.. إنها الدعاية الشيطانية بحق، التي لم يشهد لها العالم مثيلا.. فهي تدار من مركز رئيسي واحد، وتوزع علي مختلف مناطق العالم، بشكل يناسب جميع الناس.. كما تسيطر علي مصادر مالية ضخمة جدا تبقى دائما تحت تصرفها، وتُمكنها من السيطرة علي العديد من المنظمات والمؤتمرات الدولية، وعلي أعداد ضخمة من العمال.. وتستغل هذه الدعاية الصحف والمجلات والسينما والمسرح والإذاعة والمدارس وحتى الجامعات.. وشيئا فشيئا تتمكن من الدخول إلي عقول الناس من مختلف الطبقات أو الفئات.. وهناك عنصر آخر يسهل انتشار الشيوعية، هو الإسكات أو التضيق علي قطاع كبير من الصحافة العالمية.. ونحن نقول تضيق، لأنه التفسير الوحيد لسكوت الصحافة أو بقائها بعيدة عن جو الإرهاب الذي عم

روسيا والمكسيك وحتى جزءا كبيرا من أسبانيا.. وكيف تسكت الصحافة وهي التي تبحث دائما بنهم عن الأخبار لتملأ بها صفحاتها، ولا تتغاضى عن أي خبر صغير أو كبير، فما بالك بتنظيم عالمي كالشيوعية الروسية. إن هذا السكوت يعود من جهة إلي قصر النظر للأبعاد السياسية، ومن جهة أخرى لوجود القوي الشريرة العديدة التي مازالت تعمل منذ وقت طويل علي تحطيم المجتمع.. وها نحن نري النتائج المؤسفة لهذه الدعاية أمام أعيننا.. انتشار واسع للشيوعية، وتفاخر أبطالها الصريح بتحطيم الثقافة المسيحية واقتلاع كل ذكري لها من قلوب الناس، وخصوصا من قلوب الشباب.. وفي أسبانيا دمروا كل ما استطاعوا تدميره من الكنائس والأديرة، وأزالوا كل ما استطاعوا إزالته من مظاهر الدين المسيحي.. ولم تكتفِ نظريتهم نفسها بذبح المطارنة وآلاف الرهبان ورجال الدين من الجنسين، بل تعدتهم إلي أولئك الذين نذروا أنفسهم لخدمة العمال والفقراء، فكانت الأكثرية الساحقة من ضحاياهم من بين عامة الشعب ومن جميع الطبقات.. وقد ماتوا جميعا بحقد وحشي بربري لا يمكن أن تصدق أنه يقع في هذا العصر.. ولا يستطيع أي رجل عاقل أو سياسي مسئول، أن ينكر أن ما يحدث في أسبانيا يمكن أن يحدث غدا في أي بلد متمدن آخر.. هذا ما يحدث إذا حذفنا فكرة الله من قلوب البشر، لأنه عندها لا يمكن أن يمنعهم أي شيء عن ارتكاب أبشع الجرائم البربرية".

### الحرب الأهلية في أسبانيا:

يقول الجنرال مولا Mola: "بعد انتخاب الحكومة الاشتراكية في إسبانيا ورحيل الملك عن البلاد، حدث انجراف واسع النطاق نحو الانضمام إلي محافل الشرق الأكبر الماسونية.. وقد فكر المسئولون والرسميون أنهم بطلبهم الدخول إلي هذه المحافل، سيكونون بمأمن من الظلم الذي كانت تمارسه الأكثرية الماسونية في الحكومة، وأنهم بهذا يبرهنون عن إيمانهم بالحكم الجمهوري، وبذلك ينجون من خراب محتم".

\*\*\*

كتب تشرشل: "لقد ساعد الشيوعيون في إقامة الحكم الجمهوري، ليتمكنوا مرة أخرى من خلق الفوضى الاقتصادية والسياسية، حتى يتوصلوا إلي جعل القادة يعلنون بالمنطق إلي شعبيهم الذي عمته الفوضى، أن الطريق الوحيد لاستعادة النظام والقانون ولإنقاذ الموقف، لا يكون إلا بديكتاتورية البروليناريا".

وهكذا كانت الخطوة المنطقية بعد الإطاحة بالملكية، هي مهاجمة الدين الذي يؤمن به الشعب، فادخلوا العلمانية إلي المدارس، وقاموا بحملة واسعة ضد السلطة الأبوية والسلطة الكنسية.. وبعد خلق الآلاف من اللادينيين ومن البلاشقة الشبان المعادين للقيم الاجتماعية، لم يعد عليهم

إلا الانتظار حتى تسنح الفرصة المناسبة، لدفع هذه الجماهير كي تستعمل القوة ضد القانون والنظام.

وفي اجتماع عقد في نادي اتينيو في مدريد، لدراسة البرنامج السياسي المقبل، تم الاتفاق علي النقاط الثماني التالية:

- 1- خلق ديكتاتورية جمهورية.
  - 2- معاقبة كل مسئول عن عمل غير شرعي في ظل هذه الديكتاتورية فورا.
  - 3- تسريح الحرس الأهليّ والجيش والبوليس، واستبداله الجيش الجمهوريّ به، والذي تم اختياره من الطبقات العمالية ومن أعضاء النوادي الجمهورية.
  - 4- مصادرة ممتلكات الهيئات الدينية.
  - 5- تأميم الأراضي. (لاحظ أنّ مصادرة الممتلكات والأراضي، تضمن تدمير كل السلطات والقوى القديمة في المجتمع — خاصة مع تدمير سلطة الدين — لضمان سيطرة هؤلاء الطغاة على المجتمع.. وهذا هو نفس ما فعلته الثورات الشيوعية والاشتراكية في مصر والوطن العربي.. وطبعا وزعوا الأراضي على الفقراء وزجوا بالملايين في تعليم عقيم وقطاع عام خرب اقتصادنا، فقط لرشوة كل هؤلاء وشراء ولائهم!!.. والنتيجة هي الواقع المريض الذي نعيشه اليوم!!)
  - 6- القضاء علي وكالات الصحافة المعادية للنظام الجمهوري الديكتاتوري.
  - 7- استغلال المدارس التكنيكية للخدمة العامة مع بعض الأبنية الأخرى.
  - 8- تأجيل انعقاد المجلس التشريعيّ لإسبانيا والبرتغال، حتى يتم تنفيذ هذا البرنامج.
- وكان من أبرز القادة السياسيين في ذلك الوقت أزانا Azana ذو الفكر التحرري، وبريتو Prieto الاشتراكي، وكابا ليرو Caballero الشيوعي.. وقد تظاهر أزانا بأنه لا يؤيد هذه الاقتراحات المتطرفة وسخر منها، مع أنه بالفعل كان يؤيدها سرا، لأنه ما إن تم انتخابه حتى قام بتنفيذها فورا.
- وبعد الاتفاق هلي هذه النقاط الثماني، تم انتخاب المجلس التشريعي التأسيسي.. وتحت شعار "القانون هو الذي يعمل علي الدفاع عن الشعب"، تم إنشاء ديكتاتورية عديمة الشفقة لم يكن فيها من مظاهر الديمقراطية إلا اسمها، وهو "الجمهورية العمالية".. ثم قام ثوري مدرب يدعي جيمينزا أسوا Jimenez Asua بوضع مسودة الدستور.. أما أزانا فقد وجه اهتمامه الأكبر نحو القضاء علي الكنيسة والتخلص من رجال الدين.. وفي كانون الأول 1932 أسس "الرابطة الإلحادية"، وقام بتمويل مجلتها "سن ديوس" Sin Dios (المنكرون للألوهية) من أموال الشعب.. وقد تم الوصول إلي هذه الأهداف جميعا تحت اسم الديمقراطية!!.. وأعلن للشعب عن طريق القادة أنهم الآن قد حرروا من سيطرة الكنيسة ورجال الدين، الذين تحالفوا

مع الإقطاعيين من الملوك المستبدين.. ثم جاء الدور التالي من المخطط، وهو خلق جو من الفوضى والشغب، فبدأ النشاط الثوري في كتالونيا Catatonia.. واستطاع الجنرال بريمو أن يحيطه أول الأمر، لكن النشاط الثوري عاد للظهور من جديد.. وفي كانون الثاني 1933 كتب مراسل "المورننغ بوست" اللندنية أن "مخازن ضخمة للقنابل والبنادق والذخيرة قد تم العثور عليها في جميع أنحاء أسبانيا.. كما أن البوليس تمكن من التأكد من أن مبالغ ضخمة من المال قد صرفت لإشعال الثورة.. وقد تبين عند تفتيش الذين قبض عليهم أنهم يحملون مبالغ ضخمة من المال".

وبعد ثورة كاتالونيا، قامت الثورة في استروريا Astruria، عندما اتهم بعض الضباط ببيع السلاح عام 1934.

عندئذ حاول فرانكو جاهدا أن يعيد تنظيم الجيش الأسباني، وأن يضع حدا للفوضى.. لكنه لم يلقَ مساعدة كافية من السلطات الحكومية.. وهنا يمكننا أن نشير إلي التنظيم السري المحكم للحزب الشيوعي، إذا علمنا أن أكثر من ثلاثمئة كنيسة قد تم إحراقها في وقت واحد في مئة قرية ومدينة متباعدة.. كما انتشر الاغتيال بشكل واسع، حتى ظهر احترام القتل بشكل واضح ورخيص، بحيث صار في الإمكان قتل أي عدو للثورة وتصفيته بدفع 50 بيزيتا (أكثر بقليل من نصف دولار أميركي).. وهكذا استعمل عملاء موسكو الظروف الفوضوية التي تعيشها أسبانيا، لينفذوا خطة لينين بشأن هذا البلد.. فالتعذيب وبتز الأعضاء والاعتصاب والإحراق وإراقة الدماء والقتل، كلها وسائل استعملتها الشيوعية للوصول إلي السلطة. وهكذا تدهورت الأحوال في أسبانيا من سيئ إلي أسوأ، ولم تأت بداية عام 1936 حتى عمّ الاضطراب والهيجان البلاد بأسرها.. عندئذ حل الرئيس المجلس التشريعي التأسيسي "Cortes"، وعيّن السادس عشر من شباط موعدا لانتخابات عامة.. وحتى يحين موعد الانتخابات، قام جيل روبلز وكالفو سوتيلو بحملة معادية للشيوعية، بينما كانت الدعاية للبلاشقة تتم عن طريق نشرة تدعى "أصدقاء روسيا"..

في هذه الإثناء كان لارغو كاباليرو الشيوعي يقبع في السجن، إثر فشله في تنفيذ محاولة انقلابية.. وقد أجرى معه المستر إدوارد كنوبلر مقابلة نشرها بعنوان "مراسل في أسبانيا"، يقول فيها: "وسنحصل علي 265 مقعدا، فنغير النظام تغييرا شاملا.. ولن تمضي سنوات خمس إلا ونكون قد قمنا بالاستعدادات لتحقيق هدفنا النهائي، وهو اتحاد الجمهوريات الايبيرية.. وهكذا ستعود شبة الجزيرة الايبيرية لتكون بلدنا الأوحده.. ونحن نأمل أن تتضمن البرتغال بالطرق السلمية، غير أننا قد تستعمل القوة إذا احتاج الأمر.. ويمكنك أن تري من خلال هذه القضبان حاكم أسبانيا القادم.. لقد أعلن لينين أن أسبانيا ستكون الدولة السوفياتية الثانية في أوروبا، وستتحقق نبوءته هذه، وسأكون أنا لينين الثاني الذي سيقوم بتحقيقها".

وبعد انتخابات متحيزة تماما، لم تشهد أسبانيا لها مثيلا في تاريخها، كتب الرئيس زامورا يقول: "وصلت الجبهة الشعبية إلى السلطة في 16 شباط، بفضل نظام انتخابي سيء جدا وغير عادل أبدا.. وبفضل هذا النظام توصلت الجبهة الشعبية لنيل أكثرية تقريبية، بينما هي في الحقيقة لا تشكل إلا أقلية بعيدة عن الفوز" (((لاحظ أنّ هذه دائما هي نتيجة أيّ انتخابات!!)))). فهي لا يسيطر عليها إلا الأقوى سلطة ونفوذا ومالا وإعلاما!!!!)).

علي أنّ النتائج لم تكن في صالح الجبهة في التصويت الأول، لأنها نالت 200 من أصل 465 صوتا.. وهذه النسبة لا تؤهلها لتشكيل حكومة، فكان لا بد لهم من أن يتحالفا مع أقليات برلمانية، فتحالفوا مع الباسك وغيرهم، وشكلوا مجلسا يتولى إعادة الانتخابات في جميع المحافظات.. ولقد تأكّدوا من نجاحهم هذه المرة، بعد أن تمكنوا من تشويه سمعة بعض المرشحين اليمينيين وتشكيك الناس بكفاءتهم.. وجاءت النتائج النهائية لينالوا 265 صوتا — تماما كما تنبأ كابليرو!.. ومع هذا فقد جاء تقسيم الأصوات علي الشكل التالي:

أحزاب الوسط والأحزاب اليمينية 4.610.000 صوتا.

حزب الجبهة الشعبية 4.356.000 صوتا.

وبهذا تكون زيادة الوسط واليمين علي الجبهة 554.000 صوتا.

ويستطيع القارئ أن يري أنّ نجاح الجبهة الشعبية جاء بسبب توحيد القوي اليسارية بشكل واضح وعجيب، حتى إنها جمعت لواءها من الاشتراكي المعتدل حتى الشيوعي البلشفي. وهكذا نري كيف أعد الشيوعيون الستالينيون الوضع العام في أسبانيا حتى وصلوا إلي هذه النتائج.. لقد جاء في السجلات الحكومية للفترة التي سبقت انتخابات شباط 1936 ما يلي: "منذ نهاية ديكتاتورية الرئيس دي ريبيرا عام 1931، قامت ثورة واحدة قتل فيها 2.500 شخص، و 7 انتفاضات و 9.000 إضراب، و 5 تأجيلات للميزانية، وزيادة بليون بيزيتا علي المصارف الداخلية، وحُلت 1000 بلدية، وتوقفت 114 جريدة، وعاشت البلاد سنتين ونصف من الحكم العسكري".

أما في الأسابيع الستة التي تلت إنشاء حكومة الجبهة الشعبية برئاسة ازانا وكابا ليرو وبريتو، فقد حدثت الأمور التالية:

أولا: اغتيالات وسرقات: في مراكز القيادة السياسية 58 حادثا، في المؤسسات الخاصة 105 حوادث، في الكنائس 36 حادثا.

ثانيا: حرائق: في مراكز القيادة السياسية 12 حريقا، المؤسسات الخاصة 60، الكنائس 106.

ثالثا: أعمال شغب: إضرابات عامة 11، انتفاضات 169، قتلي 76، جرحي 364.

وجاء في حديث لكابليرو في منطقة زاراغوزا: "يجب أن ندمر أسبانيا حتى تصبح لنا.. وفي يوم الانتقام لن نترك حجرا علي حجر" .. وأعلن في مكان آخر: "قبيل الانتخابات كنا نسأل

عما نريده، ولكن الآن وبعد الانتخابات سنأخذ ما نريد بأي وسيلة كانت.. ويجب علي اليمينيين أن لا يتوقعوا أي رحمة من العمال، لأننا لن نخلي سبيل أحد من أعدائنا".  
وأعلن أزانا هو الآخر، وقد ظهرت السعادة عليه: "أن أسبانيا لم تعد بلدا كاثوليكيًا أبدا".  
وقد جاء في تقرير مراسل جريدة "التايمز" عن أوضاع برشلونة في شباط 1936 ما يلي:  
"أنذر أحد المجالس الحكومية عددا من الرسميين بضرورة التخلي عن مناصبهم في شباط، وقد نفذ الإنذار فوراً.. وبعد شهر كتب يقول: "أصبح الآن هم جميع الشيوعيين أن يقيموا ديكتاتورية البروليتاريا".. ثم كتب بعد مدة أيضا: "بدأت الاشتراكية الأسبانية تسير بسرعة نحو الشيوعية.. ويلاقي ماركس ولينين تأييدا شديدا من قبل الشبان، الذين يعتبرون أنفسهم تلاميذ لهما.. ويعتقد هؤلاء الشباب أن الحصول علي السلطة هو المطلب الثوري للاشتراكية الأسبانية، وأن العنف والقسوة هما الوسيلة الناجحة للحصول علي هذه السلطات.. ويعتقدون أيضا أن الطريق الوحيد للمحافظة علي السلطة هو ديكتاتورية البروليتاريا.. وهكذا تنتشر تعاليم هذه المبادئ الهدامة بصورة واسعة".. وفي آذار 1936 كتب هذا المراسل أيضا يقول:  
"لقد أنشد النواب في البرلمان الإسباني نفسه، النشيد الوطني السوفيتي وهم يرفعون قبضات أيديهم مؤدين التحية الشيوعية".

والآن نسأل أنفسنا: لماذا تحول الشباب الإسباني بإعداد كبيرة إلي الشيوعية؟  
تشير التحريات إلي أن أزانا — أحد قادة الثورة المذكورين سابقا — ظهر للشعب علي أنه صاحب أفكار تحررية، يؤمن بالاشتراكية ولا يعادي الدين.. وكان يحتج علي الإرهاب الذي يقوم به الهدامون والشيوعيون.. ولكن هذه الصورة تغيرت تماما عندما وصل إلي السلطة السياسية، حيث استعمل هذه السلطة للقضاء علي المجالس الدينية وعلي مدارسها، ثم عهد إلي فرانسيسكو فرار بتأسيس المدارس العلمانية.. وهكذا أصبح التلاميذ ينشدون الأناشيد العلمانية عند بدء دروسهم، بدل أن ينشدوا لله خالقهم وخالق الكون بأسره.. ومن هذه الأناشيد:  
"نحن أبناء الثورة نحن أبناء الحرية.. بنا ظهر فجر جديد للإنسانية"  
كما أنشدوا أيضا ترانيل أخرى في مدارس برشلونة منها:  
"اقذف المتفجرة، ركز اللغم جيدا، تمسك بقوة المسدس، وأنشد كلمات الثورة.. فف مستعدا بسلاحك حتى الموت، ودمر بمسدسك وديناميتك الحكومة!!"

وهناك أناشيد أخرى مماثلة، كانت تذاع بالإنكليزية من إذاعة موسكو، موجهة للشيوعيين الإنكليز بين عامي 1937 و 1938.. هذا وقد رفض ناشرو الصحف البريطانية والأمريكية أن ينشروا الحقيقة لأنها ظهرت غريبة لا تصدق.. ومع هذا فإن الحقيقة المرة جاءت في رسالة من فرانسيسكو فرار إلي أحد الرفاق، كتب فيها يقول: "وحتى لا نخيف الناس ونعطي مبررا لإغلاق مؤسساتنا، كنا نسميها المدارس الحديثة وليس مدارس لتعليم مبادئ الرفض



والتغيير.. ومع أنني أرغب بإقامة الثورة، إلا أنني كنت أكتفي في ذلك الوقت بزرع الأفكار الثورية في عقول الشباب، بحيث يصبح عندهم الاعتقاد الجازم بضرورة استعمال العنف ضد البوليس ورجال الدين، وبحيث تصبح وسائلهم الوحيدة هي القنابل والسموم".

وقد استعملت هذه الرسالة كدليل ضد فرار، عندما أُلقت عليه القبض قوات فرانكو خلال الحرب الأهلية.. ولما حكم علي فرار بالإعدام بتهمة الخيانة، ثارت نائرة محفل الشروق الأكبر في باريس، واحتج لدي جميع المحافظ في العالم، مدعياً أن فرار هذا قتل لنشاطاته المعادية للكاثوليكية.

ويكفي أن ننقل قول لينين: "إن أفضل الثوريين هو شاب متحرر من المبادئ الأخلاقية".. ونحن نعلم أن كلمات لينين هي بمثابة قانون بالنسبة للشيوخ، لذلك عمل جميع أفرادهم علي خلق جيل من الشباب من الجنسين، لا يؤمن بالقيم الاجتماعية والخلقية.

تشمل الخطوات الأولى لبرنامج تربية الشباب الثوري تفكيك روابط الأسرة، وإثارة الأولاد علي سلطة آبائهم حتى قبل بلوغهم سن الرشد.. ولقد أدخل هؤلاء المخربين في روع الأطفال أن آباءهم هم جيل رجعي متأخر، وأنهم يربون أولادهم علي الكذب والأساطير، كما هي الحال في قصة بابا نويل والمكان الذي يخرج منه المولود!

وعلّل المخربون هذا التأخر عند الآباء، بأنه نتيجة للاستغلال الرأسمالي، وأن الجيل القديم هو ضحية التعاليم الرجعية.. ومن هنا كان علي الولد أن يعلم والديه الأفكار التقدمية الحديثة، وألا يسمح لهما أبداً بالسيطرة عليه وتوجيهه كما يشاءان.. وكان الهدف من هذه الحملة الهدامة هو تفويض قدسية ووحدة الحياة العائلية.

وتأتي الخطوة التالية وهي: إزالة احترام رجال الدين من نفوس الأطفال.. وحتى يتوصلوا إلي ذلك صوروا رجال الدين وكأنهم الفئة الأقل ذكاء والأضعف بنية في المجتمع، وأنهم في الحقيقة خدام للطبقات الحاكمة.. وتعلم الأولاد قول ماركس المعروف: "الدين أفيون الشعوب، لأنه يعلم الخنوع والقبول بالفقر والمرض والعمل المرهق، بهدف إصلاح الروح".. وهكذا صار الرهبان بالنسبة للأطفال "ذئاباً في ثياب حملان" و "غرباناً" تأكل من جهل وسذاجة العامة من الشعب.. وإذا حدث أن تورط أحد الرهبان في فضيحة، استعملت جميع وسائل الدعاية للنيل من الدين ككل.

حتى إذا اتضحت هذه الصورة البشعة لرجال الدين عند الشباب، بدأ الهجوم الفعلي علي الدين، وانطلقت عمليات السخرية من الدين بشكل مقرف للغاية.. فصوروا المسيح علي أنه ابن غير شرعي لمريم، تلك الشابة اليهودية التي خدعت يوسف وأوهمته أن ابنها هو هدية الروح القدس.. ووصفوا المسيح بأنه مخادع يخفي الضعف في شخصيته بالسحر والشعوذة التي يسميها معجزات.. وقالوا إن التلاميذ الاثني عشر للمسيح هم أعوانه الشريرين!!.. ولم يقفوا

عند هذا الحد، بل اتخذوا من أحب الحكايات عن المسيح – وهي أنه كان صانع أحذية في سن مبكرة جدا – ليستعملوها بمعنى آخر، وهو انه كان يستعمل السحر لبيع الخمر في حفلات الزفاف.. واتهموا المسيح أيضا وجميع أتباعه من الكاثوليك بأنهم من آكلي لحوم البشر، واعتمدوا في ذلك علي النص التوراتي الذي عاتب فيه المسيح أتباعه على أنهم إذا لم يأكلوا من لحمه ويشربوا من دمه فإنهم لن يحظوا بالخلود!!

وكان يجري تدريب المراهقين عن طريق المرافقة والمصاحبة، فيصاحب أحد المدربين مراهقا يعلمه التحرر، الذي يتحول فيما بعد إلي تحلل من جميع القيم، وانفلات كامل من جميع القوانين.. ويتعلم المراهقون أن الخطيئة الوحيدة هي في عدم طاعة قادتهم، وأن هناك جريمتين فقط يمكن أن يرتكبهما الفرد: إهمال الواجب، وخيانة أسرار الحزب.

بعد كل هذه الخطوات يأتي دور الاحتكاك الفعلي مع البوليس.. وحتى يعتاد الشباب المدربون حديثا علي هذه الأعمال، يدخلونهم في مجموعات أو عصابات يقودها قادة شيوعيون.. ويدرب هؤلاء القادة الشباب علي الأعمال المخلة بالنظام والقانون، ويرغمونهم علي الاقتتال حتى يتعرفوا علي مقدارتهم الجسدية.. ثم يدفعونهم إلي ارتكاب جرائم صغيرة تكون الخطوة الأولى إلي جرائم أخرى، وبعدها يسمحون لهم بالتعرف أكثر فأكثر علي التنظيم السري للشيوعية.

ويستعمل الشيوعيون قصص الإجرام والتمثيلات الجنسية المريضة كجزء من حربهم النفسية.. وتقوم هذه التمثيلات المعدة بشكل خاص، بإثارة الدوافع الشريرة الكامنة عند الأطفال، كالميول السادية.. كما أنها تضعف من الدرع الأخلاقي الذي يصون بعض الأولاد.. فحتى اللعب صارت تمثل مسدسات وجنودا وبنادق، بالإضافة إلي الأفلام السينمائية التي صارت تكثر من تصوير الجرائم وإطلاق النار.. وكل هذا يعمل علي تحطيم الروح المسيحية العادية عند الناشئة، ويجعلهم يتأقلمون مع المناظر القاسية والموت المفاجئ واستعمال الأسلحة.. وهناك أيضا كتب ومجلات الدعارة التي وزعها ونشرها الشيوعيون بشكل واسع وبأسعار رخيصة.. وهذه المنشورات أعدت خصيصا لتحطيم ذلك الوجه الأخلاقي الذي أوجده وطورته قيم الثقافة المسيحية.